Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

Ruins and personal introductions in the poetry of Manjak Pasha (d. 1080 AH)

Noor Ihsaan Hashim
Department of Language of Arabic/ College of arts /
University of Mosul/ Mosul -Iraq

Faris Yaseen Al-Hmdani
Department of Language of Arabic/ College of arts /
University of Mosul/ Mosul -Iraq

Article Information

Article History:
Received Mar **23,2025**
Revised Mar **30,2025**
Accepted Apr **07,2025**
Available Online December, 2025

Keywords:
Introduction,
Ibn Manjak
The ruins,
The self.

Correspondence:
Faris Yaseen Al-Hmdani
faris.y.m@uomosul.edu.iq

Abstract

The introductions come as a poetic painting, crowning a group of psychological and social approaches that govern awareness at the moment of creative production. The introductions bear the poet's readiness to disclose hopes and aspirations that keep the recipient in uninterrupted communication, and their impact remains on him.

Introductions are one of the basic and important keys to entering the depths of the text; it is the main threshold imposed on poets to dive into, and forced the recipient to dismantle it, examine it and interrogate it, and in doing so it targets the recipient's interest to attract him to it and put him in direct contact with it, to reveal its mysteries and secrets, and each introduction has its own beauty; because it possesses a poetic specificity that distinguishes it from others.

Introduction component important And part no It is divided from The poem , she has Its effectiveness And its impact that To him You can that Surprise receiver from first A moment,It is used The poet His feelings And his senses Tactile And the sensual And intellectual and subjectivity And his ability Linguistic ,on building the introduction In the picture that to bear Implications And the structures Influential To give Impressions Primary on what Carrying it Text Text Poetic.

DOI: 10.33899/radab.2025.149054.2394, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

المقدمات الطللية والذاتية في شعر منجك باشا (ت 1080 هـ)

نور احسان هاشم * .فارس ياسين محمد **

المستخلص:

تأتي المقدمات بوصفها لوحة شعرية تتويجًا لمجموعة مداخل نفسية واجتماعية تحكم الوعي لحظة الإنتاج الإبداعي، وتحمل المقدمات استعداد الشاعر للإفصاح عن آمال وتطلعات تبقي المتلقي في تواصل لا ينقطع، ويظل أثرها فيه .وتُعدُّ المقدمات إحدى المفاتيح الأساسية والمهمة في الدخول إلى أعماق النص؛ وهي العتبة الرئيسة التي فرضت على الشعراء للغوص بها، وأجبرت المتلقي على تفكيكها وتفحصها واستنطاقها، وهي بذلك تستهدف اهتمام المتلقي لشدِهِ إليها وتجعلهُ على تواصل مباشر بها ليكشف عن غوامضها وأسرارها، ولكل مقدمة

* قسم اللغة العربية/ كلية الاداب /جامعة الموصل-العراق
** قسم االغة العربية / كلية الاداب /جامعة الموصل-العراق

جماليتها الخاصة؛ لامتلاكها خصوصية شعرية ميزتها عن غيرها.والمقدِّمة عنصر مميَّز وجزء لا يتجزأ من القصيدة، لها فعاليتها وتأثيرها الذي بهِ تستطيع أن تفاجئ المتلقي من أول وهلة، فيستخدم الشاعر أحاسيسه وحواسه اللمسية والحسية والفكرية والذاتية ومقدرته اللغوية على بناء المقدمة بالصورة التي تحمل الدلالات والتراكيب المؤثرة لتعطي الانطباعات الأولية عما يحملهُ متن النص الشعري.

الكلمات المفتاحية: المقدمة ، ابن منجك ، الطلل ، الذات .

المقدِّمـــــة:

تعد المقدمات إحدى المفاتيح الأساسية والمهمة في الدخول إلى أَعماق النص، وهي العتبة الرئيسة التي فرضت على الشعراء للغوص بها ، وأجبرت المتلقي على تفكيكها وتفحصها واستنطاقها ، وهي بذلك تستهدف اهتمام المتلقي لشدهِ إليها وتجعلهُ على تواصل مباشر بها ،ليكشف عن غوامضها وأسرارها ولكل مقدمة جماليتها الخاصة؛ لامتلاكها خصوصية شعرية ميزتها عن غيرها.فالمقدمة عنصر مهم وجزء لا يتجزأ من القصيدة، لها فعاليتها وتأثيرها الذي بهِ تستطيع أن تفاجئ المتلقي من أول وهلة و" إن مقدمات القصائد تنطوي على أهمية كبيرة؛ لأنها تتمتع بدرجة كبيرة من الحيوية الشعرية والفعالية الكبيرة التي تقود المتلقي نحو الموضوع وتدخله بأعماقهِ" [1]، ولهذا برز دور المقدمات في القصائد لفك الشفرات الغامضة لتحيل المتلقي إلى متن النص الشعري.وبهذا عدتْ المقدمة عبارة عن تعاقد سواء كان مخفيًا أو صريحًا بين الشاعر ومتلقيه فمقدمة القصيدة هي "التي مثلت لوحة تشكيلية بنائية تنتظم في البناء الكلي للقصيدة التي مثلت لوحة تشكيلية فنية تراثية ذات رؤية موضوعية متعددة تنبني من تضافر عدد من الصور وصولًا إلى المشهد الوصفي؛ الذي مثل مرحلة متكاملة في تكوين النص الشعري وتلقيه "[2]، فمقدمة القصيدة هي لوحة شعرية اعتنى بها الشاعر بمزج ألوانها وإدخالها في إطار شعري منسق يتكون من عناصر جمالية ، تؤدي دورها لتكون المصدر الأساس لاستنباط المعاني والألفاظ والصور الشعرية وتجسيد الأفكار والأخيلة وملئها بالتأثير في النفوس ،لتتشكل بدواخلهم أحاسيس تبعث فيهم المتعة والانجذاب نحو إكمال هذا العمل الإبداعي .فيستخدم الشاعر أحاسيسه وحواسه اللمسية والحسية والفكرية والذاتية ومقدرته اللغوية على بناء المقدمة بالصورة التي تحمل الدلالات والتراكيب المؤثرة، لتعطي الانطباعات الأولية عما يحملهُ متن النص الشعري.

فالمقدمة هي انعكاس عن الصورة الشعرية؛ لأن" قوة الصورة تكمن في إثارة عواطفنا واستجابتنا للعاطفة الشعرية "[3]، ولها أهميتها الكبرى؛ لما تملكهُ من مقدرة على التحكم بتلك العواطف والأحاسيس.

وبذلك شكلت مخيلة الشاعر صوراً عِدة جعلتها الجوهرة الخاصة لها لنقل التجربة، واتخذها الشاعر وسيلة للتعبير عن حاجاته، بما امتلكتهُ تلك الصور من فاعلية إيحائية لها انعكاسها الذي سلطتهُ على الفكر، فهي نتاج يستلهمهُ الشاعر من خيالهِ المتأثر بمحيطهِ الخارجي، ليصل بذلك إلى مرتكزات ذهنهِ الصورية التي يرسمها أمام المتلقي بإضافة لمساتهِ الساحرة في صياغة الألفاظ والجمل والعبارات الشعرية لإيصال تلك الصور.

فمقدمة القصيدة ملأها الشاعر بالكثير من الصور والأخيلة والدلالات والصياغات والعبارات والمحسنات البديعية لإضافة جمالية شعرية للنص، يتجلى دورها في أخذ المتلقي إلى عالم الأبداع والخيال؛ لتصب في ذهنهِ العبارات المؤثرة المصاغة بأسلوب الشاعر وتمكنه بالإقناع.

فالمقدمة إذًا "تمتلك قدرة متميزة على أن تغدو منفذًا تعبيريًا لحديث النفس في تأملها "[4] فبرزت للمقدمة جوانب أساسية في القصيدة، جعلتها تحتل المكانة الرئيسة من تركيب القصيدة العربية وشكلت لنفسها قاعدة أساسية في تنظيمها وتحقيقها، ولا تتحقق تلك الأهمية إلا بوجود مخيلة الشاعر العذبة التي يرسمها بالصورة الإبداعية لتظهرها للمتلقي بأبهى حلة. وقد راعى الشاعر صياغة العبارات في مقدماتهِ؛ لامتلاكها وظيفة مؤثرة في نفسية المتلقي تبعث في داخله الشعور بجمال القصيدة التي تأخذه إلى متن النص الشعري .وكما ذكر جيرار جنيت عن العتبات بأنها "أخبار الدار على باب الدار ،يقول المثل المغربي ،ولا يمكن للباب أن يكون بدون عتبة ، تسلّمنا العتبة إلى البيت ،لأنهُ بدون اجتيازها لا يمكننا دخول البيت "[5]، فتمثل عتبات النصوص الشعرية بمجموعة من الوحدات اللغوية والإشارية والرمزية ؛ كون تلك المقدمة علامات لها دلالات معينة لا تسمح لأحد بدخولها مالم يكن متسلحًا بأدوات معرفية معينة تساعدهُ على الدخول في فضائها والوقوف عند عوالمها وآفاقِها ، فقد شبهها الكثير بعملية البناء فجعلوا تلك المقدمات هي الأساسات التي ترصف عليها مواد البناء لتبقى قوية ومتماسكة وهذا

([1]) مقدمة القصيدة في العصر الوسيط ابن نباتة المصري اختياراً (قراءة نقدية في التشكيل والصورة)، الأستاذ الدكتور فارس ياسين محمد الحمداني ، مطبعة نركال – الموصل – العراق ، ط1 نيسان ، 2024 م ، ص13.

([2]) شعراء عراقيون في العصر الوسيط (قراءات نقدية في الصورة والمشهد)، د. مقداد خليل الخاتوني، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 2023م، ص 10.

([3]) الصورة الشعرية، سي دي لويس، تج: أمجد نصيف الجنابي، مالك ميري وسلمان حسن إبراهيم، مراجعة، د.عناد غزوان إسماعيل، مطبعة مؤسسة الخليج ،الكويت ،منشورات دار الرشيد ببغداد (سلسلة الكتب المترجمة)،1982م ،ص 44.

([4]) دراسات نقدية في الأدب العربي ،د. محمود عبد الله الجادر ، دار الحكمة للطباعة والنشر الموصل، 1990م، ص 10.

([5]) عتبات (ج.جنيت من النص إلى المناص)، عبد الحق بلعابد ،تقديم د. سعيد يقطين ، دار العربية للعلوم ناشرون ،الجزائر، ط1، 1429هـ -2008م، ص 13.

يدل على أهميتها الكبيرة في تكوين القصيدة واحتلالها المرتبة الأولى في إعطاء الأوليات عن *مضمونها وهذا وما تحويه من الرموز والإيحاءات التي تحملها تلك المقدمة . ومن أهم أنواع المقدمات عند ابن منجك:*

1. المقدمات الطللية
2. المقدمات الذاتية .

1. المقدمات الطللية:

يحمل الشعر العديد من الأفكار والأحاسيس والمعاني التي يقدمها الشاعر بنصوصه الشعرية التي يسعى بها الوصول إلى الكمال اللغوي ، وذلك برسم ابداعهِ بالكلمات والعبارات ،ليستنطق المتلقي تلك الصيغ والألفاظ ، وتقع في نفسهِ مؤثرة بكل جوارحهِ ،فهذا ما يسعى إليهِ الشاعر ،فهو دومًا يحاول نقل الواقع بصورة جديدة يلبسها عاطفته وأفكاره وآلامه وأحزانه مبتكراً ألوانًا جديدة للحياة تبعث لإيجاد روح جديدة في المتلقي يستشعر بها من خلال تلك الأنغام والقوافي المتناسقة ،فكان الشعر هو السبيل الذي يعبر بهِ الشاعر عمّا يجول في خاطرهِ ،فنرى العديد من الشعراء منذ العصور الجاهلية ينتقون لقصائدهم مقدمات تستدعي قبول المتلقي وتشدهُ إلى الأصغاء ،لتأخذهُ معها إلى رحاب النص ، فكان للشعراء مقدمات يفتتحون بها قصائدهم الشعرية كالوقوف على الأطلال ، وسار على هذا النهج من المقدمات العديد من الشعراء واتخذوها معياراً وقواعد ثابتة في قصائدهم ، وكانت لهذهِ الظاهرة مكانتها البارزة في مسار الشعر العربي ، وهذا لم يقتصر على عصر من العصور ،بل إن للأطلال أهمية كبيرة رافقت العصور وتطورت مع تطور تلك البيئة التي عاشها الشاعر .

فابتكرت العديد من الأفكار والصور والرؤى وتجددت بألوان عصورهم. وبما أنَ الإنسان يعيش في وجود ليس ثابتًا ،فهو معرض لعوامل وظروف تجعلهُ يغير مكان عيشهِ ،ويذهب إلى مكان يجد بهِ ملاذه الآمن وإن لهذا التنقل أثره الواضح في نفوسهم ،وذلك لحزنهِ على موطنهِ السابق وذكرياتهِ التي خلفها وراءه فكان الشاعر يعبر عن تلك الأحزان ويستذكر الديار بالوقوف على الأطلال "فالإنسان أمام الطلل ، يواجه حاضرًا قاهرًا يجعلهُ في سياق الزمن الحاضر ،يترقب غدًا غامضًا؛ لأن التغيير هو السمة الثابتة لهذا الزمن المعادي"[1]، فالأطلال هي ذكريات الأنسان والحنين إلى شبابهِ وصباهِ وموطنهِ وأيامهِ السالفة ، وهي كتلة من العاطفة المنبعثة من جوهر النفوس ،لتوقد شعلتها في المتلقي لتوصل إليه الحرقة والألم التي يعيشها الشاعر ،فالطلل هو علاقة الإنسان بالمكان، و" هو أداة يقصدها الشاعر للإخبار عن الديار وما آلت إليها من خراب ودمار، ووظيفة يخاطب فيها الشاعر الطلل وكأنهُ حيّ يعي ويدرك ولا يقف عند هذا وإنما يضفي على الديار هالات من القداسة ويحيها ويتمنى لها الحياة "[2]، وبذلك فقد أصبح الطلل يشكل جوهرًا أساسيًا في القصيدة العربية القديمة ، وبقي محافظًا على مكانتهِ المركزية، عبر العصور وكان ذلك بسبب التفاعل الكبير بينهُ وبين عناصر القصيدة الأخرى ،فهو منبع الأبداع والتألق ، وقد وصفهُ الكثير من النقاد بكنز القصيدة العربية ، ويعد الطلل نسقًا شعريًا تعبيريًا ،فهو قائم على معجم لغوي خاص مستندًا إلى ألفاظ وصياغات لسانية إبداعية بتمثل جماليات الواقع وكل ما يحيط بها من الكائنات ، فهو بذلك يصبح خطابًا يحمل العديد من الدلالات والأنساق اللغوية والثقافية التي تحمل بداخلها العديد من الصور التي رسمت بريشة الشاعر/المبدع ليوصل هيئة ذلك الواقع في ذهنه .

فظاهرة الاطلال "ظاهرة أصلية في صور الانتماء... وهي صور مطردة توحي بالإخلاص للتراب الذي امتزج بذكريات أصحابهِ وتعطي الدليل الحي والقوي على علاقة العربي بأرضهِ التي زرعها أحلامًا جميلة زاهية وملأها بذكريات الشباب الغض الذي غذاه دم الحياة"(3)، فالأطلال عند الشاعر (منجك باشا) ذكريات عاشها في غربتهِ، ولجأ إلى الأطلال في مقدماتهِ ليستدعي ذكرياتهِ، لتكون ماثلة أمامهِ والتي اشعلتها مرارة الشوق والحنين لموطنهِ فهو يعود إلى الماضي ليعيش تلك الذكريات؛ إذ يقول[4]:

خَلِيَّ مالي أُبصرُ الدَّهرَ راضيًا ... وَحَظّيَ مَوفورًا وَعَيشِيَ صافِيا

وسالَمَني في النَّاسِ مَن كانَ دأبُهُ ... مُحارَبَتي جَهلاً وَأصبَحَ وَافيا

وَرُحتُ قَريرَ العَينِ مِلءُ جَوانِحِي ... سُرُورٌ وفَكري باتَ بِالأَمسِ خالِيا

(1) الطلل في النص العربي (دراسة في الظاهرة الطللية مظهرًا للرؤية العربية)، سعد حسن كموني، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1419هـ-1999م، ص39.

(2) جماليات الشعر الجاهلي دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، إعداد مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2007م، ص354.

(3) روح العصر، د. عزالدين اسماعيل، دار الرائد العربي، بيروت، ط1، 1977م، ص 164.

(4) ديوان منجك باشا (1007 – 1080 ه) ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، وزارة الثقافة ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق 2009 ، ص 74.

وعَهدِي بأيّامٍ مَضينَ كأنّها ... تُجَرَّدُ من جَفنِ الزمَّانِ مواضيا

إذا طَلَعَت شَمسُ النّهارِ وأقبَلَت ... ظَنَنتُ حِبالَ الذِّرَّ مِنها أفاعيا

أَداري ضَئِيلَ الخَازِبازِ مَهابَةً ... وَأَخشى خَيالي حَيثُ شِمتُ خيَاليا

عَلى أَنَّ قَومي المَنجَكيينَ قَد بَنَت ... عَزائِمُهُم فَوقَ الثُّريا مَكانِيا

وَكَم شَهِدَت أَعدائي فِيَّ بِأنني ... نَشَأتُ بِمَهدي لِلمَعالي مُنأغِيا

إن المتأمل في هذهِ المقدمة الطلية يرى صورة لانعكاس حالة الشاعر النفسية، فهي منذ الوهلة الأولى تعطينا صورة الرضا والطمأنينة التي يعيشها الشاعر وهو ينادي (خليلي) اسم الفاعل الذي دل على الأصدقاء والرفاق المقربين في مكانتهم الكبيرة في حياة الشاعر، فتوظيفه لـ (خليلي) يعكس الشعور الداخلي الذي يشعر بهِ، شعور المودة والمحبة ويعبر عن عدم اكتراثهِ بما يجري حوله، طالما هو(يبصر الدهر راضيا) فهذه الاستعارة التي اعطت للدهر صفات الإنسان الحسية التي يدرك بحاسة البصر ورؤيته، عن قدرة الدهر بالتحكم في إرادة الانسان ومقدرته على ترويضه واستسلامه له، فقد استعار الشاعر حاسة البصر للدهر وذلك؛" لأن الاستعارة تجعله يحس بالأشياء محددًا بانطباعات الشاعر تجاهها من خلال بنية تشكيلها والوقوف على ما تبثه من معانٍ ، فضلًا عن دورها في إثراء النص ورقيه فنيًا "[1]، فضلًا عن حالة الرضا التي يعيشها الشاعر والحظ الوفير والكثير والعيشة الصافية ، ثم نرى التناقض الذي يعيشه بينه وبين المجتمع ، فهو في حالة من الوحدة والعزلة بذكره (وسالمني في الناس) التي تشير إلى رغبته في التواصل مع الناس الذين يعيشون السرور والفرح من حوله وهو يشعر بالفراغ والوحشة فكلمة (خالية) تعكس حالته النفسية الحزينة وغياب الافكار الايجابية فهذا التناقض الذي يشعر به جعله يدخل في محيط من القلق والحسرة؛ بسبب فقدانه لأصحابه وابتعاده عنهم وفقدانه ...تلك العلاقات الاجتماعية التي يتمتع بها من حوله، في حين انه فاقد لها ،ثم يعطي الشاعر رموزًا باتت مصاحبة له بعدما كان قرير العين في موطنه تملأه الفرحة والسرور حتى وصلت اعماق جوارحه فهذا التشبيه البليغ الذي شبه به الشاعر أحاسيسه وفرحته التي ملأت كيانه وكل جزء من وجوده ، عبرت عن السعادة العميقة التي كان يشعر بيها ثم بعد ذلك تقلب تلك السعادة إلى فضاء خالٍ وإلى تغيير جعله يشتاق إلى تلك الأفكار والسعادة التي كانت تسكن في داخله ثم تسيطر على الشاعر تلك الذكريات في مخيلتهِ بالوعي واللاوعي وتفرض عليهِ اعادة الذكريات من أيام زمانهِ الماضي حتى بات زمانهُ متجرداً من تلك الأيام وأصبحت تأثيرات الزمن المؤلمة تسيطر على حياتهِ.

والمكان عند الشاعر لم يأتِ فقط بالأطلال وذكر الخلان والأصحاب بل تجاوز ذلك إلى وصله حتى (شمس النهار) تلك الشمس التي افزعتهُ وأخافتهُ كلما ظهرت وبرزت خيوطها في السماء وتشع بضوئها، فهي تتماثل أمامهُ كالأفعى المخيفة، فهذا التشبيه المجازي الذي اعطى للمتلقي الصورة المعبرة والمؤثرة التي رسمها الشاعر من شدة شوقهِ وحنينهِ لموطنهِ فقد مُثلت أمامهِ مسرحًا وجوديًا لطيف الشاعر واحلامهِ، والتي تجسدت بتلك الدلالات البلاغية.

ثم يعود ويستذكر قومه ويفخر بنسبهِ (المنجكين)، ذلك الأصل والنسب الذي كان وسام شرف لانتمائه لتلك الأصول العريقة، فهو يذكر مكان قومهِ تلك المكانة العالية التي تصل إلى النجوم(الثريا)، ويستذكر كيف نشأ وتربى في بيت عز ودلال، وولد في أحضان الدفء والحنان فهو الذي عاش بعز ولا يقبل بالذل والإهانة وضعف الحال، وهو منذُ ولادتهِ كانَ مناغيًا للعزل والدلال مثل مناغاة الأم لرضيعها ، فحضور الماضي والايام الخوالي التي استذكرها الشاعر في المقدمة عبرَ بها عن آلأمه وحسراته وشوقه.

ثم ينتقل الشاعر إلى مقدمة طللية يدمج فيها عشقهُ للماضي ويذكر موقف العذال تجاه ذلك الحب، يقول فيها[2]:

وَقَفَ الوجَدُ بي عَلَى الأطلالِ ... وقَفَاتِ قَد زِدنَ في بَلبالي

ذِمنٌ ظَنَها العَواذِلُ لَمّا ... أن رَأوها خَيالض جِسمي البالي

مُقفِراتٌ بَعدَ الخَليطِ كأن لَم ... تَغدُ يَوماً لَهُم مَحَطّ الرَّحالِ

(1) شعراء عراقيون في العصر الوسيط (قراءات نقدية في لصورة والمشهد)، ص32-33.
(2) الديوان، ص 107.

فَدمُوعي نَهبُ الأسى وَفُؤادي نَهبُ أيدي الصُّدوُدِ وَالتَّرحالِ

عاركَتَني شَدائدُ الدهَّرِ حتّى عَلَّمَتني وَقائعُ الأحوالِ

وَأَرَتني الَمُنونَ أشهى مِنَ العَيشِ وَبيضَ الأيّام سُودَ اللّيالي

كانت الأطلال عند الشاعر ليست فقط تلك الأماكن المادية، بل تجلت إلى رموز للذكريات والمشاعر التي يحملها تجاه محبوبتهِ/المرأة فقوله (وقف الوجد بي على الأطلال) فالأطلال هنا الأماكن التي لها ذكرى عاطفية عندهُ، وتلك الأماكن هي التي يتوهج شوقًا إليها لما فيها من ذكريات مع المرأة، فيكرر تلك المشاعر باللفظة (وقف-وقفات) ليؤكد على الحالة النفسية التي يشعر بها، وعن مشاعره العميقة التي تعكس تجربة الوجع العاطفي المرتبط بالذكريات والأماكن ،ثم يذكر الشاعر ذلك الحب وكيف جعل الناس من حولهِ (العواذل) يحقدون عليه بسببهِ ويتمنون بعدهُ عنها وينصحونهُ بذلك فيقع في حيرة من أمرهِ ، وصراعًا مع نفسهِ إذ جعلهُ ذلك الصراع نحيلاً هشًا مكسورًا بسبب تلك المشاعر والألم والعزلة ،ذلك الصراع النفسي الذي جسدهُ الشاعر بنصهِ ليرسم للمتلقي معاناته ، ويعكس لهُ التجربة بصدق عاطفي حقيقي فاتخذ من هذهِ الصور الشعرية وسيلة لنقل مشاعرهِ للمتلقي.

فلقد نقل الشاعر "الطلل من الطبيعة الصماء ومن الانتماء إلى البيئة المبذولة للعيان إلى الثقافة التي اقتلعته من اديانه وزرعته في مقدمات النصوص رموزًا كثيفًا مُشبعًا بحمولة نفسية ومعرفة حضارية "[1]، ثم يكشف الشاعر عن مدى تردي حالتهِ فشبه جسدهُ بـ(البالي) والجسد لا يكون باليًا بل الذي يبلى هي الأشياء، فتلك الاستعارة التي كانت المعطى الجمالي لرسم صورة المشاعر التي يقع فيها الشاعر ويشير إليها بهذا التعبير الهندسي الشعري فوظف الشاعر تلك الصور البصرية ليعزز للمتلقي صورة حالتهِ وانكساره ثم يعود ويستذكر الشاعر الأماكن في بيتهِ الآخر بقولهِ (مقفرات)، تلك الأماكن التي كانت تعج بضجيج الناس من حولها ،وأصبحت الآن فارغة ، فهو بعيدٌ عن الناس وعن ذلك الخليط وصار الحزن والفقدان يسيطران على حياتهِ بهِ .

ثم يصف الشاعر تلك الأحزان بوصفه لدموعه التي أصبحت (نهبًا للاسى) نتيجة الفراق والافتقاد ،حتى أن فؤاده لم يسلم من تلك المعاناة وصار ضحية معاناته في انكساره وضعفه وعدم استقراره ،فقد سيطرت على نفسه تلك المشاعر المريرة والملوعة ،وذلك الصراع الداخلي الذي يسكن فيه بين عواطفهِ وشعوره بالوحدة والفراق .فيعبر الشاعر عن مشاعره بمدلولات حية وتشخيصات مادية بأحاسيس إنسانية في قوله (الفؤاد) (الدموع) ،فذلك العمق العاطفي الكبير الذي يستعرضه الشاعر لمشاعر الحزن والفقدان بأسلوب شعري يعزز من استقبالها لدى المتلقي ،فيذكر الشاعر تأثير الدهر في حياتهِ بقوله (عاركتني) التي تشير إلى الصراع والنضال الذي واجهه من (شدائد الدهر)أي صعوبات هذا الزمن وكيف واجهها حتى انه قد خرج من تلك الشدائد بمعرفة حتى وإن كانت تلك التجارب قاسية ؛ لكنها كانت مصدرًا للنمو والتوعية ، فتلك الوقائع كان لها الفضل في مواجهته لعوامل الدهر القاسية ثم يظهر الشاعر مجموعة من المشاعر المركبة والمتناقضة بين الحياة والموت وكيف (للمنون) أن يكون خلاصهُ الوحيد من هذه الحياة البائسة ، ومن خلال توظيفهُ للتضاد في كلمتي (بيض) و(سود) ليفسر بها لحظات حياتهِ وكيف لها أن تكون بيضاء وسوداء بسواد الليل المفزع والمخيف وبيان مشاعره المتناقضة التي يعيشها .

وينتقل الشاعر إلى مقدمة طللية أخرى يدمج بها شوقه إلى دياره وشوقه إلى الأحبة الساكنين فيها يقول[2]:

خَفِّض عَلَيكَ فَما الفؤاد بِسالي وَقِفِ الدُّموعَ لِدارِسِ الأطلالِ

دِمنٌ على عَرَصاتِها عَقَلَ البكا أبْصارَنا عَنْ غَيْرِها بِعِقالِ

ذَهَبَتْ بِروَنْقَها اللّيالي بَعْدَما كانَتْ مُخَيَّمَ نَضْرَةٍ وَجَمالِ

وَيْلايَ ما صَبْري لَدَيَّ بقاطِنٍ بَعْدَ الخَليَطِ وَلا هَوايَ بِبالي

ماكُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ يَوْمِ فِراقِهِمْ أَنَّ النَّوَى ضَرْبٌ مِنَ الآجالِ

(1) المرجعية المعرفية للمقدمة الطللية بين الجاهلية وصدر الإسلام -دراسة في النسق الثقافي، أطروحة دكتوراه، إعداد خميس ادامي، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة، بإشراف أ.د: عبد القادر دامخي، الجمهورية الجزائرية، 2016-2017م، ص303.

(2) الديوان، ص 147.

يدمج الشاعر(منجك باشا) بين ذكر الأطلال التي استفقدها وتركت أثرًا كبيرًا في نفسهِ وبين حبهِ لأصحابهِ الذينَ غابَ عنهم مستذكرًا صحبتهم وجمعتهم و تلك العلاقات التي يستفقدها في غربتهِ ،ويصف تلك الأماكن معبرًا عن مشاعرهِ التي كانت نتاج غيابه عنهم ،فيعكس الشاعر ذلك الشعور بالأسى والشوق ،وكيف تمر كل أوقاته في غيابهم ، وهي تؤجج مشاعر الحزن والحنين عندهُ ، قائلاً (خفض عليك) ، فمن شدة حزنهِ يحاول ان يواسي (فؤاده)، موظفًا الاستعارة التي أضافها للفؤاد بقولهِ (فما الفؤاد بسالي) ، فالذي يسائل هو الإنسان فأضاف صفة السؤال والحديث إلى المخاطب للفؤاد بالتشخيص، الذي أعطى صورة خيالية عن محادثة الشاعر لفؤادهِ ومواساتهِ من تلك الألم ويدعوهُ للاكتفاء من الحزن والتهوين عليهِ من ذلك الألم وتأثيرها العميق على نفسهِ .

ونقف مع صورة استعارية أخرى رسمها الشاعر، ليكمل المعطيات عند المتلقي فيعطي للدموع صفات الأشياء بقولهِ (وقف الدموع)، التي تتوقف دون حراك فيدعو تلك الدموع التي تسيل دون توقف على ذكر الأحبة والشوق إلى ديارهِ و يدعوها بالتوقف، فالصورة الشعرية التي كوّنها الشاعر اوجدت جوًا عاطفيًا مؤخرًا ،ومكنتهُ من إيجاد صور تعبر عن الأماكن المتروكة وذكريات الماضي ، فنلاحظ سيطرة شعور الحزن والفقدان لدى الشاعر بقولهِ (دمن على عرصاتها عقل البكا) ، فيظهر استحواذ الأحزان على عواطفهِ وأحاسيسه وأفكاره ، وكيف صارت ابصارهُ عن غيرها عديمة الرؤية لا تستطيع نسيانها ، ،وتكرار (العقل -العقال) دلالة واضحة على تقييد الشاعر وعجزهِ عن تخطي تلك الذكريات ، فهو لا يستطيع المغادرة من دائرة الماضي المرير، فالصورة البصرية التي رسمها الشاعر بـــ (أبصارنا)، مماثلة للواقع فهي "التي نبحث عنها وهي ذات سمة موضوعية دلالية تكشف معاني الشاعر وأفكاره في التراكيب والتشكيل "[1]، وتبين مصير الشاعر وأحزانه بـ(ويلاي)، وذلك لوصولهِ لأعلى درجات التألم والفقدان ، فخيال الشاعر قد توافق مع واقع حالهِ وعمق ذاتهِ المتألمة ، فتلك الصورة الشعرية التي كانت مرآة معكوسة عن عاطفة الشاعر أنتجت ابداعًا مرتبطًا بالواقع .

وتظهر على الشاعر علامات الفراق بقوله(ماكنتُ أحسب)، فهذا الاستفهام الانكاري، أظهر عدم توقع الشاعر لهذهِ الأحوال والظروف المؤلمة التي يمر بها ، فهذهِ الغربة وهذا الابتعاد عن ديارهِ كانَ مقدرًا لهُ وجزءا من أجلهِ ، فهذا دليل قولهِ (أن النوى ضرب من الآجالِ)، فقد ارتبطت المعاني والألفاظ جميعها عندهُ لتعبر عن تذكره للأطلال ، ويقع الشاعر في حيرة أمام هذهِ الوحدة والفراغ الذي يسكن جوفه بقوله (التذكار - التسأل)، فهو تعبير عن الحيرة والحزن تجاه الذكريات وتعكس تلك الأبيات عاطفة الشوق والألم الناتجة عن الفراق .

ثم ينتقل الشاعر إلى مقدمة طللية أخرى مستحضرًا بها، مكان غربتهِ ومشبهها بموطنهِ فهو يرى العراق بعين حلب بقولهِ[2]:

تَـقُـولُ الـعِـراقُ: صَـبـا جِـلّـقٍ ... تَـهُـبُّ وَلَـكِـنَّـهـا مِـنْ حَـلَـبْ

مَـوَاطِـنُ مـنْـها بـدا عَـسْكَـرٌ ... مِـنَ الـذّوْقِ لـلِشـّامِ صـافـي الشَّـنَـبْ

إذا مـا نَـوَى شَـدْو بَـيْـتٍ لَنـا ... تَـمـايَـلُ عُـشّـاقُ شَـوْقِ الـطّـرَبْ

فَـهَـذا المُـشَـنَّـفُ أَسْـمـاعَـنـا ... بِـدُرَّ تَـعَـجَّـبَ مِـنْـهُ الـعَـجَـبْ

يوظف الشاعر الفنون البلاغية ليقدم صوراً شعرية ومعاني غنية تعبيرًا عن عمق المشاعر وقوة تفاعله مع المكان الذي يقطن فيهِ ، ويبدي فخرهُ بالعراق ، فيبتدأ النص (تقول العراق) ، تلك الصورة الاستعارية بإضافتهِ للعراق سمة إنسانية(الكلام والقول)، ليدعم النص بعبارات مؤثرة ليشد المتلقي إليهِ ، ذلك النداء الذي ألبسه صفة إنسانية فأعطاه صوتًا يتحدث بنفسهِ ليعزز من مكان الوطن ، فهو يدمج بين ذكر الأطلال وتعدد سمات الوطن وغربتهِ، ليمثل ذلك الطلل الانتماء والولاء للمكان ، مشبهًا العراق بـ (صبا) ، بالشباب والجمال تلك الصورة التي تشبه المناطق الموجودة في سوريا ، (حلب - الشام) فهي صورة أعطت للمتلقي القدرة على كشف جمال العراق وسحره، وكيف كان يتمتع بالحيوية والشباب ، فيؤسس الشاعر بهذهِ المقدمة الطللية الكثير من التأثير والتفاعل بين ثقافات العراق وحلب والشام ،فمع من اشتياقه لموطنهِ ؛ لكن وجودهُ في العراق قد خفف عنهُ حزنهُ واستوعب همومهُ ، فتلك الأماكن كانت مصدرًا غنيًا بدلالات ثرة مدت الشاعر بالكثير من مشاعر الشوق والطمأنينة ، وأعطتهُ الاستقرار ؛ لكنهُ لا ينكر ما أصابهُ من تناقض بين الثقافات وتأثيرها عليهِ بقولهِ (تهب) (لكنها) ذلك التضاد الدلالي الذي جسد فيهِ مقاصد وغايات واقعهِ ووجودهِ ،فشكلت معطى طبيعياً تحول بها الوعي الشعري لدى الشاعر(منجك باشا) ، إلى معطى ثقافي استدلالي ، فذلك الأسلوب نينة "صفة نفسية تصدر عن خيال الأديب وذوقه، فالخيال المصور يدرك ما في المعاني من عمق وما يتصل بها من أسرار جميلة إدراكًا حادًا ،والذوق يختار أصفى العبارات التي تليق بهذا الخيال الجميل"(3)،

([1]) صورة صلاح الدين الأيوبي في شعر ابن الدهان الموصلي (ت 581هـ)، د. جرجيس عاكوب عبدالله الراشدي ، مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل - كلية الآداب ، ع 75 , 1440 هـ ، ص 76 .

([2]) الديوان ، ص 183.

([3]) الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، تأليف ، أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ، ط8 ، 1411هـ-1991م، ص199.

فيتحدث الشاعر عن العراق في قولهِ (مواطن منها بدا عسكر) وذلك ليعزز الشعور بالانتماء الموحد ،ويجسد تلك الرؤية بطابع القوة والفخر، ويتمظهر المكان في النص عبر تشكلاتهِ وامتزاجاتهِ التي رسمها الشاعر في مخيلتهِ فيهيء بها فضاءات جديدة عن الأماكن التي كانت ثرية بالذكريات والانفعالات ، إن الخصوصية الأوضح في توظيفه لعنصر المكان فهو ليس مجرد شكل أو مخطط هندسي ، بل اصبح يعكس مخيلات العقول التي تشكلت على ضوئهِ ؛وذلك لوجود علاقة حميمية بين الأنسان والمكان ، ـ"فالمكان الذي ينجذب نحوهُ الخيال لا يمكن ان يبقى مكانًا لامباليًا ذا أبعاد هندسية ، فهو مكان قد عاش فيهِ بشر ليس بشكل موضوعي فقط ،بل كل ما في الخيال من تحيز"(1)، فالمكان يمنح النص بعدًا جماليًا ونسقًا بلاغيًا ، ويذكر الشاعر صفاء تلك الأماكن وبياضها فيصف ويشبه جمالها بقولهِ (صافي الشنب) ، أي بيضاء ونقية بجمالها ورونقها ، فقولهِ (تمايل عشاق شوق الطرب) ، فهي صورة شعرية عن مظهر العشاق كأنهم يتأرجحون بفعل الشوق والحنين ، ثم يوظف الشاعر اسم الإشارة بقولهِ (فهذا) ، لمقصدية تساعدهُ على إيصال أفكاره ،وهذه المقدمة الطللية ولدت الاتصال الشعري بين الشاعر والمكان ، تلك العلاقة التي ربطت بينها علاقة تأثير وتأثر، وتأسست وفقًا لاعتبارات نفسية وعاطفية وحسية ، ربطت بين ذات الشاعر وواقعهُ.

ونجد مقدمات طللية أخرى للشاعر فيها تأثير الطلل على استذكار شبابهِ ،فلم يتوقف عند استذكار الأماكن فقط بل تجاوزت حدود الماضي نحو ريعان شبابه ، وكيف مارس الدهر عليهِ ظلمهُ وأصابهُ بسهامهِ ، فيقول(2):

هَـلْ وَقْـفَـةٌ بَـيْـنَ الـطّـلُـولِ ... تَـشْـفـي الـفُـؤادَ مِـنَ الـغَـلـيـل

اهٍ عَـلَـى زَمَـن الـشَّـبـاب ... وَظِـلّـهِ ذاكَ الـظّـلـيـل

سـافَـرْتُ بِـالآمـالِ فِـيـهِ ... فَـلَـمْ يَـكُـنْ إلا وُصُـولـي

وَتَـهُـزُّ رَيـحـانَ الـرَّفـاهَـةِ ... نَـسْـمَـةُ الـعَـيْـشِ الجَـلِـيـلِ

فَـجَـنَـيْـتُ نَـوْرًا لِـلْـمُـنـى ... لَـمْ يَـدْ ر طـارِقَـةَ الـذُّبُـولِ

وأَدَرْتُ طَـرفـي فـي بُـدُور ... الحُـسْـنِ مِـنْ قَـبـلِ الأُفُـولِ

يبتدأ الشاعر نصهِ بـ(هل) الاستفهامية ليعكس شعورهُ ، ويجعل من هذا الاستفهام هدفًا في مقدمتهِ الطللية لجذب انتباه المتلقي إلى الفكرة الأساسية وإلى مقصديته فيتسأل الشاعر عن فائدة (الوقوف عند الاطلال)، وهل لهذهِ الوقفة تأثير في شفاء (فؤادهِ) ، من هذا الحزن والألم الذي بقيَ مصاحبًا لهُ ، وهل ستصبح هذهِ الذكريات دواءً لجروحهِ وعلاجًا لمرضهِ ، ثم يعود ويكرر تلك الحسرات تأكيدًا على وصف حالتهِ النفسية، لإيصال هذهِ المشاعر للمتلقي بقولهِ (اهٍ)، فهي تنطق عند الألم ووظفها لتمكنهُ من رسم صورة تشخيصية عاطفية حسية ، مملوءة بالكثير من الأوصاف الحسية التي تساعده على استدراك الموقف ، مشحونًا بالألم والحسرات والرؤى والحاجات الروحية والعاطفية المتزايدة، فتلك المضمرات التي جسدها الشاعر في بناء نصهِ الشعري أسهمت كأداة تمكنهُ من إضافة السمات الجمالية للنص، ويكرر الشاعر كلمتي (ظلهُ-الظليل) في مقدمتهِ الطللية، ذلك التكرار الذي يحمل قيمًا شعرية ، ليجسد بها الشاعر الرمزية والمفهوم العميق للظلام الذي يلازمهُ في تقدم السن وفقدان الشباب ، فذلك التكرار ينتج عنهُ التوافق في بناء المرتكزات الإيقاعية.

ثم يولد الشاعر الحركة في مقدمتهِ الشعرية بـ(سافرت) فذلك السفر ليس هو السفر الحقيقي إنما السفر الذي تحلق بهِ الآمال بعيدًا في خياله ، فتلك الحركة التي صنعها الشاعر هي تعبير عن الحالة النفسية التي سيطرت عليهِ وتملكته ، ويشبه الشاعر أيام شبابهِ بالرفاهية والجمال والمتعة ، موظفًا لفظة (تهز) ليشير إلى النشاط والحيوية المصاحبة له في زمن الشباب ، وكيف استطاعت اللفظة من إيجاد وتهيئة الجو الشعري التي عكست في مضمونها الفرح والبهجة في العيش في قولهِ (نسمة العيش الجليل) ، ولعل انشغال العقل الباطني للشاعر في الماضي والحنين إلى أيام الصبا ، وكيف يمكن للذكريات إن تكون مصدرًا للفرح مع الألم الذي يشعر بهِ ، فتلك الصورة البصرية (فجنيت نورًا) التي كان لوجودها أهمية كبيرة في تشكيل دعائم البناء الشعري ، وتمكنهُ من بعث تأثيرات حسية فعالة استطاعت تلبية حاجات شعورية ذاتية لتقريب الرسالة إلى مضمونها الأساس.

(1) جماليات المكان، تر/غالب هالسا ، غاستون باشلار، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص31.
(2) الديوان، ص 186.

فالشاعر بدوره ينقل صور بصرية حسية للمتلقي تمنحهُ قوة شعورية واسعة؛ وذلك لأن "الجانب الحسي، ما هو إلا مرحلة تمر بها الصورة الشعرية لتمتزج بعد ذلك بالجانب النفسي المتمثل في المشاعر التي تتلقاها الناس، وهنا يجب على الشاعر ان يقوم بمهمتين مهمة حسية نفسية ومهمة جمالية مؤثرة"[1]، ويظهر كيف يتطلع إلى الجمال في قولهِ (وأدرت طرفي في بدور الحسن من قبل الأفول) ، فـ(بدور الحسن)، تُعبر عن الجمال الكامن فيهِ وكيف لذلك الجمال أن يتلاشى ويزول مع الزمن.

ويطالعنا الشاعر (منجك باشا) في مقدمة طللية أخرى جسد بها جماليات أماكن انتمائهِ يقول فيها[2]:

أيـْنَ الأَسَـــاةُ فَقَـلْـبِـيَ الـيَـوْمَ مَـجْـرُوْحُ	مُـتَـيَـمٌ لَـعِبَـتْ فـِيـهِ الّـتَـبـــاريْحُ
رُوْحٌ تَـسِـيـْلُ عَـلى خَـدّي فَـيـَحْـجِبُـها	دَمـْعٌ عَـلِـيـلُ فُـؤَادٍ مَـــا لَـــــهُ رُوْحُ
وَالْحــبُّ سَـطْـرٌ بِـلـوْح الصـّدْر مُكْتَـتَـبٌ	مُـتَـرْجَـمٌ بِلِسـَانِ الشَّـوْقِ مَـــشْـــرُوْحُ
وضَـعْـتُ خَـدَّي عَـلَـى كَـفَّ الخُـضُوعِ وَبِـي	ذلٌّ عَـلَـى عَـتـَبَـــاتِ الـعِـــزَّ مَـطْـــرُوْح
فَـلاَحَ بَـارقُ واَدِي الـشَّـعْـبِ وانْـتَـبَـهَـتْ	نُـــوَّامُ وَجْـــدي وفَـاَحَ الـــرَّنـْـدُ وَالـــشَّـيْـحُ

يجذب الشاعر انتباه المتلقي للمقدمة الطللية بابتداء النص بالاستفهام بـ (أين) التي استفهم بها عن أماكن (الأساةُ)، ذلك الاستفهام الذي أعطى مشهدًا حقيقيًا عن حزن الشاعر وتوجعه وعمق ألمهِ، تلك الصورة التي عبرت عن حالتهِ النفسية البائسة والتائهة في الماضي وذكرياتهِ ،فهو يستنجد ويطلب الدواء والشفاء لقلبهِ الجريح ،الذي بات (متيماً)، بتلك الآلام والمآسي التي تناوبتهُ وتتابعت عليهِ شدائد الحياة ومشقتها ، فقد اعتمد الشاعر على مدركات حسية اتكأت على الوضوح والدقة وعلى التناسق المنطقي التي جمعها مع الخيال ، فيشكو الشاعر في هذه المقدمة الطللية من مرارة الفراق ورغبتهِ في العودة واللقاء ، فنار الغربة والحنين قد اشعلت الشوق في قلبهِ ، وزادت في تألمهِ ، فسببت له الجروح العميقة.

ثم ينقل الشاعر إلينا صورة تشبيهية أخرى تشكلت عبر أحاسيسهِ ومشاعرهِ التي بنت تلك الألفاظ والعبارات بمحاكاة الحالة التي يعاني منها بقولهِ (رُوْحٌ تَـسِـيـْلُ عَـلى خَـدّي فَـيـَحْـجِبُـها دَمـْعٌ عَـلِـيـلُ فُـؤَادٍ مَـــا لَـــــهُ رُوْحُ)، فيشبه الروح بالدموع التي تسيل على الخد تلك الروح التي ذابت وهامت من الشوق واللهفة إلى الديار، فكانت المقدمة الطللية خير معين للشاعر للتعبير عن حالته المأساوية، وبالصورة الاستعارية التي منحها (للفؤاد) جعلهُ يتحول إلى شخص حاملًا للروح ويعاني من شدة الألم والتوجع، ويكرر الشاعر كلمة (الروح) ، تأكيدًا على تصوير عمق مشاعره والإلحاح على إيصال الصورة وتوسيع مدارك المتلقي بشكل أكبر و"للتكرار دلالة نفسية حيث يفرغ الشاعر حاجاتهِ ومشاعرهِ المكبوتة ليعيد التوازن إلى حالته الطبيعية "(3)، ويريد الشاعر بالمقدمة بيان حبه للديار، وكيف كان عاجزًا امامهُ، وكيف كان صدرهُ لوحاً حُفر حبهُ فيهِ (وَالْحــبُّ سَـطْـرٌ بِـلـوْح الصـّدْر مُكْتَـتَـبٌ)، فيؤكد على مكانة أرضه وموطنه ، وكيف كانت روحهُ مرتبطة بهِ، ، فذلكَ الوصف الجزئي كون الصورة الكاملة أمام المشهد المتمثل للمتلقي ، فتلك الأطلال (وادي الشعب) ؛هي أنساق مكانية شكلت عبر ذكريات الشاعر هوية المكان الذي منحهُ طاقة تخيلية جعلتهُ يعيش الماضي بكل آثارهِ حتى بعطرهِ المنبعث (فاح الرند).

والمقدمة وسيلة يتخذها الشاعر ليجسد بها شعريتهِ لتنحصر بدورها في تنشيط المعطيات والمدلولات التي تقدمها نحو مسارات تتلاءم مع باقي القصيدة ، وتحاول بتفاصيل مهمة الوصول إلى مراكز متقدمة ومسميات ذاتية وموضوعية تكتمل بها الفكرة الشعرية وتنضج معها الأهداف الرئيسة " فلكل مقدمة مشخصاتها ، ورسومها بل أن المقدمة قد تتباين صورتها عند الشاعر الواحد ...إذا لكل شاعر تجربته وطريقته في التعبير عن نفسهِ واحساسهِ"[4] فتظهر في المقدمات توجيهات شعرية مختلفة، يشكلها ميدان الشاعر الخاص بهِ عبرة بؤرة نصية يبثها نحو المتلقي محاولاً إشراكهُ في انفعالاتهِ التي يفرغها داخل قوالب شعرية ترتبط بمحاكاة وتفصيلات واقعية ، والمقدمات الشعرية هي مجموعة من الرؤى والعناصر الجمالية المتعددة التي تجسد الأفكار وتفرغها بوحدات لغوية لها فاعليتها وتأثيرها في النفس محاولة الوصول إلى التبادل والانفعال بينها وبين المتلقي.

([1]) المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجًا) دراسة شعرية نقدية ، زين الدين المختاري ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1998 ، ص67.

([2]) الديوان، ص313.

([3]) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، منشورات مكتبة النهضة، ط3، 1967م، ص242.

([4]) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، حسين عطوان ، دار المعارف ، 1970 ، ص115.

المقدمات الذاتية :

اتجه العديد من الشعراء ومن ضمنهم الشاعر (منجك باشا) إلى صياغة مقدمات ذاتية لها دلالات نفسية تعبر عن لوعات داخلية أراد الشاعر توظيفها بمقدماتهِ ، ولعل هذهِ المقدمات هي التي تبعث القوة والدافع لاستكمال ومواصلة واستكشاف نهاية القصيدة ومقصدها ،فهي التي تضمن التأثير على المتلقي وجذب الانتباه إلى موضوع القصيدة الأساس وصولاً إلى الخاتمة، وهي مصدر الحماس وتأجيج المشاعر لدى المتلقي ولازمة من لوازم بناء القصيدة ومن دونها تعدُّ القصيدة ناقصة ، وتتشكل المقدمات عند الشاعر (منجك باشا) بألوان مختلفة عبرت عن تقلبات حالتهِ النفسية ،ومع كل مقدمة لديهِ هناك منفذ لعواطفهِ وأحاسيسهِ الحبيسة ،فنرى لديهِ مقدمات ذاتية وصف بها واقعه المعاش ، وحملت معها العديد من الألفاظ والصور التي منحت هذه المقدمة الحياة ومنحتها القيمة الشعرية المؤثرة ، يقول[1]:

إنما الناس نحن في كل دار	وندارى وما بنا من يداري
لو أردنا غير الجياد ركبنا	حيث شئنا على الأسود الضواري
غير أن الأيام قد حاربتنا	لاعتراض منا على الأقدارِ
كنتُ كالبدر قد عراه كسوف	ونجا في السما ضئيل الدراري
كنتُ كالشمس حين يحجبها الغيم	فتروي العيون عن أبصارِ
كنتُ كالعنبر الذي فاح طيبا	حيث يلقى من الزمان بنارِ

يفتتح الشاعر المقدمة الذاتية بـ(إنما) التي تفيد الحصر والاثبات وذلك تأكيدًا منهُ على اثبات الخبر وبدلالة (الناس نحن) ويعزز الشاعر المقدمة الذاتية بالجناس الحاصل بين (دار -ندارى-يدارى)، هو جناس القرابة من حيث الدلالة والصياغة العامة؛ لتشكل جرسًا موسيقيًا يدرك من خلالهُ المتلقي مبهمات النص، ويكشف الشاعر عن أفعال الأقدار وكيف لها من محاربة الإنسان، واستعارة المحاربة للأيام كانت معبرًا عن ذات الشاعر ومقدمته التي تريد إيصال الغاية، ويصف الشاعر بالصور التشبيهية التي تتجلى فيها (الأنا الشاكية) تلك الأنا التي كانت واضحة من نظرته الفاقدة للأمل بعد ما اغترب عن وطنهِ ،فهو عاجز أمام الوصول إلى غايته وأهدافه وآمالهِ ، فتألمت ذاته من الدهر وغدرهِ الذي افقدهُ الكثير من لذة الحياة وتحولت حياته إلى آلام وتوجع وحسرة (كنتُ كالبدر، كنتُ كالشمس ، كنتُ كالعنبر) فتوظيفه للماضي وتذكره له دلالة على حياته الرغيدة قبل هذا الموقف ،وهذه الذات تشكلت بتكرار (كنت) التي جسدت مشهد الحزن والفقد الذي يعيشه الشاعر ، بفقدانه الكثير مما كان يحلم بهِ ، فتقلبات الدهر جعلتهُ يخسر صفو حياتهِ التي كان ينعم بها.

وينتقل الشاعر إلى مقدمة ذاتية أخرى تتمظهر فيها منطلقات الدخول إلى عالم الذات جسد فيه الشاعر منظوره الخاص للحياة، يقول[2]:

أرى العمر في غير السرور مضيعا	ومن ودع الاحباب روحا مودعا
فإني قد نازلت كل كريهة	وقضيت في النعماء عزا منوعا
وجالستُ ارباب الفضائل يافعًا	وشاهدت أقمار الكمالات طلعا

المقدمة الذاتية واضحة بقوله (أرى، فإني، وجالست) فكلها ألفاظ تعود للذات وللنفس ، وتظهر في مقدمته انعكاسات حالته النفسية ومعاناته المكبوتة في داخلهِ تجاه العمر وكيف يستطيع أن يسلب السرور من الإنسان بجعل الصور الشعرية بؤرة يستخرج منها معانيهِ وتشكيلاتهِ اللغوية ، فكانت المقدمة الذاتية عندهُ منفذًا يعبر فيه عن حديث النفس في التأمل لما مضى ، ويشكل التكرار بين (ودع -مودعا) صورة لحالة الشاعر النفسية التي تفسر ارتباطاته بالواقع وبذكريات الماضي وبشوقه الدائم وحزنهِ ، ثم يذكر كيف تجرع المر وكيف كانت هذه الحياة قاسية عليه ، يقول (فإني قد نازلت كل كريهة ...) ،وإن هيمنة الحواس بأشكالها أعطت للمقدمة الذاتية صورًا شعرية كانت هيكلًا

([1]) الديوان، ص 198.
([2]) الديوان ، ص 219

لانفعالاته الذاتية ومؤشرًا على أحداث الماضي و مندمجًا بذات الشاعرة ؛ لتصور مظاهر الحزن والألم، ثم يوظف الفعل الحركي (جالست) تأكيدًا على مجالستهِ واثباتهِ للواقع ليكسب النص الجدية والواقعية، وتنشط الذاكرة منحدرة بفيض شعري متماسك ونضج فني يتفوق بهِ على نفسهِ .

وبمقدمة ذاتية أخرى تظهر فيها مشاعر الشوق والحنين للشاعر تجاه ابنهِ (احمد) ، يصف ذلك الشوق بصور جمعت فيها أعذب العبارات المملوءة بالعاطفة المشحونة بذكريات الماضي، يقول[1]:

أحمد ابني اليك طال اشتياقي	وزفيري قد جد في إحراقي
اتبع الكتب بعضها إثر بعض	فلعلي اشفي بها احداقي
أنت لي نشأة الحياة فما بعدك	عيش يلفى شهي المذاق
ملئت حسرة عليك يد الوجد	وفاضت مدامع الاشواق

تلتهب مشاعر الشاعر (منجك باشا) بالمقدمة الذاتية وتتصاعد وتيرة الألم والشوق لديهِ فيبدأ مقدمته بنداء ولده (أحمد) متألمًا من طول الفراق ، فذلك الشوق قد جعل انفاسهُ تحرقهُ فهو لا يستطيع التنفس بدونهِ ،وقد احرقهُ البعد واغرقه بالهموم ، فصدق العاطفة التي كانت موجودة عند الشاعر جاءت ممتزجة بمشاعر صادقة خارجة من الذات أراد إظهارها، وهي تجسيد لحالتهِ التي يعاني منها ، ثم يعود في مقدمته إلى الذات مخاطبًا ابنه(اتبع الكتب بعضها إثر بعض فلعلي اشفي بها احداقي) ، فتوحي تلك المخاطبة عن تشابك الصراعات الداخلية في ذاته التي تعكس حالته للسامع ، ويوظف (لعلَ) ، لطلب حصول الشفاء والراحة ، وتمكن بتجسيد هذهِ الأداة من إبراز صوت الذات المتألمة المكسورة ، ويستمر بمخاطبة ابنهِ بألفاظ دالة على مكانتهِ في قلبهِ وكيف تبدو الحياة من دونهِ، تلك البواعث النسقية المصاغة بأساليب إبداعية التي "يقوم عليها نصه المرسوم بجودة اللفظ ، وانسجام العبارة التي جسد بها مضامينه"[2]، فيصف حالهُ وانكساره.

وينتقل الشاعر إلى مقدمة ذاتية أخرى تحمل إيحاءات مؤثرة ومعاني عميقة، يصف بها افتخاره بقومهِ وبنسبهِ وشوقهِ اليهم ، يقول[3]:

عهدي بدار المنجكي محمد	مثوى جنودٍ او مناخ وفود
تتمتع الآمال منه براحة	وطفاء صيغ بنانها من جود
والعيش غض في ذراه كأنه	خضر العوارض في بياض خدود
ويهزنا شرخ الصبا فتخالنا	بيض المواضي في اكف الصيد

يصف الشاعر بمقدمته الذاتية قومهُ وأصلهُ بقولهِ (عهدي بدار المنجكي محمد) تلك الألفاظ والمعان الدالة على سعة علمهِ ومعرفتهِ ، ومنزلتهم الكبيرة فهو من مكان فيها الشجاعة والقوة ،واصفًا نفسه بالبطل المحارب الذي يخوض المعارك في منطقة الوفود ، ويتحسر(ويهزنا) على تلك الأيام ، وكيف كان يتمتع بالحكمة والشجاعة والقيادة ، وأسهمت المقدمة الذاتية في بيان الدلالات الايجابية ، فالمتأمل للمقدمة الشعرية يجد كثرة الصور الصادرة من العمق النفسي والحزن في ذاته ، ويوظف الشاعر الألوان لتقريب الصورة إلى الذهن ولتتضح أمامهُ الصورة المنقولة لتلبي الحاجات الذاتية في نفسه ،ويوظف الشاعر في مقدمته الذاتية الفعل (يهزنا) لتدل على الحركة والانفعال والنشاط الذي يصاحب هذا التعبير ، فتتولد لديهِ الذات الشاكية من الشوق والحزن ، فهو يواجه أزمة يعاني منها الكثير، فتجسيده لتلك الصور كان ناجماً عن غاية في ذاتهِ التي توشحت بالحزن نتيجة الفراق، فهو يجد في ذلك تخفيفاً للثقل الذي حملهُ محاولة منه اشراك من يسمعهُ معهُ للتخفيف.

([1]) الديوان، ص 219.

([2]) شعرية المديح عند صالح المعمار الموصلي (ت1162هـ)، أ.م.د. مقداد خليل قاسم الخاتوني ،(بحث) ،مجلة آداب الرافدين ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ،ع79 ،1441 ه -2019م ، ص120.

([3]) الديوان، ص 222.

وينتقل الشاعر إلى مقدمة ذاتية أخرى وهو يتوجع من الصد والهجر بحياكة شعرية ذات قصدية واعية ، يقول[1]:

اجرني بالتواصل بعد بعدك	لعلي اجتني ثمرات وعدك
واسالك القليل من التلاقي	ولكن خشيتي من سوء ردك
سقى الرحمان ايامًا سقينا	بها راحا على وردات خدك

تتبلور الرؤية الشعرية لدى الشاعر بتمفصلات لغوية ترفد المقدمة بالخيال المؤثر، فيطالب باللقاء بعد الفراق لتكون ثمرة انتظاره وصبرهُ ، وتكون مجازاةً له على صبرهِ بقولهِ (اجرني بالتواصل بعد بعدك)، فهو بحاجة إلى هذا التواصل والمقابلة بعد طول الانتظار ، فذلك النسيج الشعري التشكيلي منح النص حياكة فنية متينة للمقدمة الذاتية ، ومكنتهُ من تشكيل إثارة اعتمدها لإيقاظ المتلقي، فأراد الشاعر منها تهيئة جمالية تأملية تعطي رموزًا حسية تقودهُ إلى الإحساس بالإيقاع الروحي الموجود في ينابيع ذاتهِ المتحسرة.

وينتقل الشاعر إلى مقدمة ذاتية أخرى يعبر فيها عن شوقهِ للاماكن القديمة التي ملأت ذكرياتهِ، فتعلق بها فؤادهُ فهو يمضي يستذكر جمالها وصفاتها متحسرًا على رؤيتها والعودة إليها، يقول[2]:

إذا ما زرتُ اكناف المرام	بقونية فبلغها سلامي
وقل نزهة الابصار حسنا	سقى واديك منهل الغمام
فكم طارحتُ من ورقاء تشدو	على العذبات فيه من الغرام
وكم صادفتُ من ظبي كحيل	وكم شاهدت من بدر تمام

المقدمة الذاتية تتوضح من (زرتُ ،طارحتُ، صادفتُ) ، ويبدأ الشاعر النص بأداة الشرط (إذا) وذلك لشد الانتباه للحدث الشعري القادم الذي ضمنه في مقدمتهِ الذاتية القائمة على مبدأ الاستذكار والحنين لأمكنة تركت في نفسهِ أثرًا بالغًا ، فمعاناة الشاعر تجاه غربته وشعوره بالحزن نتيجة هذا البعد أمر طبيعي يحصل للإنسان عند ابتعاده عن موطنه وهذه فطرة بشرية ، فالشاعر في المقدمة يريد أن يوصل سلامه لتلك المناطق التي تثير في نفسه الشوق واللهفة إليها يقول (إذا ما زرت اكناف المرام بقونية فبلغها سلامي) ، فهو يتحدث ويخاطب شخصًا يحملهُ سلامًا للمكان ، ومجيء (ما) منحت النص الشعري انزياحًا وحققت " معنى التفجع والتحسر والالم ، الذي يلبي الرغبة الذاتية "[3]، فدلالات الشاعر البصرية (نزهة الأبصار، ورقاء تشدو) تصور له جمال المكان المقصود الذي يسقيه الغمام السحاب المملوء بالأمطار التي فاضت منها الوديان لكثرة عطائها ، فتلك الصورة كانت " جسرًا يربط بين واقع الشاعر وخياله لأنه يستثير الناظر والسامع ويطبع صوره في مخيلته لشدة اعجابه ، ويدفعه للتذكير والربط بين مظاهره المتنوعة "[4]، ويوظف الشاعر (كم) العددية التي يشير بها إلى تأثير الصورة السمعية في النص (فكم طارحت من ورقاء ...) ، فيصف الأماكن التي تجذرت في مخيلته فكانت سببًا في توجعه، فيصبو الشاعر إلى ذكر الأوصاف المكانية ؛ وذلك لأن المتلقي " لا يعرف بوجود المكان في النص الشعري من تشكل المكان لغويًا ليكون بديلًا عنه في الواقع الموضوعي "[5]، فالشاعر ينقل الصورة الحقيقية المأخوذة من واقعهِ النفسي ، ممزوجًا بلوعاتهِ الداخلية ليصل بها إلى مقصده وبذلك يكون الشاعر قد حقق غايته في تلك المقدمة الذاتية.

الخاتمة :

كانت المقدمة الطللية مرآة لانعكاسات داخلية عاشها الشاعر (منجك باشا)، فهي وسيلة الشاعر لاسترجاع ذكرياتهِ التي سيطرت على ذهنهِ وعواطفهِ، فنقلها بصدق عاطفي وتصوير فني دقيق ، كما صاغ الشاعر المقدمة الذاتية بأنساق كشفت عن الحسرات والآلام الداخلية لهُ

---

(1) الديوان، ص242.
(2) الديوان، ص267.
(3) ينظر: جمالية الخبر والانشاء (دراسة بلاغية جمالية نقدية) ، د. حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 م ، ص 285.
(4) البنى الفنية (دراسة في الشعر مجد الدين النشابي)، د. فارس ياسين محمد الحمداني ، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، 1435هـ-2014م،ص189.
(5) فاعلية المكان عند ابن عنين (ت 630 هـ) أ.م.د. فارس ياسين محمد الحمداني ، مجلة آداب الرافدين ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، العدد 80 ، 1441 ه – 2020 م ، ص44.

بعبارات وألفاظ تنبع من الذات المتألمة ، وتحدد هذه المقدمات نبرة القصيدة وتوجيه الفهم الدقيق لدلالاتها وللرسالة الشعرية ، وتبني توقعات المتلقي مما يزيد من تشويقه لتلقي بقية أجزاء القصيدة .

وعلى ما تقدم سابقًا نتوصل إلى أن المقدمات الطللية والذاتية لا يمكن الاستغناء عنها في بدايات القصائد ، وأن الشعراء في عمل دائم الاستمرار على العناية بهما لتحسينهما وتطويرهما واكتشاف خباياهما، وذلكَ ليشكلوا عملًا فنيًا متكاملاً يصل إلى حد التأثير في نفوس المتلقين وليبينوا قدراتهم وطاقاتهم الإبداعية فيهما .

References:

1. Style (An Analytical Rhetorical Study of the Origins of Literary Styles), written by Ahmed Al-Shaib, Nahdet Misr Library, 8th ed., 1411 AH-1991 AD.

2. Artistic Structures (A Study in the Poetry of Majd al-Din al-Nashabi), Dr. Faris Yassin Muhammad al-Hamdani, Ghaida Publishing and Distribution House, 1st ed., 1435 AH-2014 AD.

3. The Aesthetics of Pre-Islamic Poetry: A Study in the Philosophy of Beauty in Pre-Islamic Poetic Consciousness, prepared by the Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1st ed., 2007.

4. The Aesthetics of Space, translated by Ghaleb Halasa, Gaston Bachelard, University Foundation for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 1994.

5. The Aesthetics of News and Composition (A Critical Rhetorical and Aesthetic Study), Dr. Hussein Juma, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 2005.

6. Critical Studies in Arabic Literature, Dr. Mahmoud Abdullah Al-Jader, Dar Al-Hikma for Printing and Publishing, Mosul, 1990.

7. The Spirit of the Age, Dr. Ezz El-Din Ismail, Dar Al-Raed Al-Arabi, Beirut, 1st ed., 1977.

8. Iraqi Poets in the Middle Ages (Critical Readings of the Image and the Scene), Dr. Muqdad Khalil Al-Khatuni, Amman, Ghaida Publishing and Distribution House, 1st ed., 2023 AD.

9. Iraqi poets in the Middle Ages (critical readings of the image and the scene).

10. The Poetics of Praise in the Life of Salih Al-Ma'mar Al-Mawsili (d. 1162 AH), Asst. Prof. Dr. Muqdad Khalil Qasim Al-Khatuni, (Research), Journal of Rafidain Literature, University of Mosul, College of Arts, Issue 79, 1441 AH-2019 AD.

11. The Poetic Image, C.D. Lewis, trans. Amjad Naseef Al-Janabi, Malik Miri and Salman Hassan Ibrahim, reviewed by Dr. An'ad Ghazwan Ismail, Gulf Foundation Press, Kuwait, Dar Al-Rasheed Publications in Baghdad (Translated Books Series), 1982.

12. The Image of Saladin in the Poetry of Ibn Al-Dahan Al-Mawsili (d. 581 AH), Dr. Jirjis Akoub Abdullah Al-Rashidi, Journal of Rafidain Literature, University of Mosul - College of Arts, Issue 75, 1440 AH.

13. The Ruins in the Arabic Text (A Study of the Ruins Phenomenon as a Manifestation of the Arab Vision), Saad Hassan Kamouni, Dar Al-Muntakhab Al-Arabi for Studies, Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1419 AH-1999 AD.

14. Thresholds (J. Genette from text to context), Abdelhak Belaïd, introduction, Dr. Said Yaktine, Dar Al-Arabiya for Science Publishers, Algeria, 1st ed., 1429 AH - 2008 AD.

15. The effectiveness of place according to Ibn Afin (d. 630 AH).

16. Contemporary Poetry Issues, Nazik Al-Malaika, Nahda Library Publications, 3rd ed., 1967.

17. Introduction to the theory of psychological criticism: The psychology of the poetic image in Al-Aqqad's criticism (as a model).

18. The cognitive reference of the introduction to the ruins between the pre-Islamic era and the beginning of Islam - a study in the cultural system, a doctoral thesis prepared by Khamis Adami, College of Arabic Language, Literature and Arts, Department of Arabic Language and Literature, University of Batna, under the supervision of Prof. Dr. Abdelkader Damkhi, Algerian Republic, 2016-2017 AD.

19. Introduction to the poem in pre-Islamic poetry, Hussein Atwan.

20. Introduction to the poem in the Middle Ages by Ibn Nabatah Al-Masry, a selection (a critical reading of the formation and image).